

## ممارسة الديمقراطية في زمن الجائحة

2021-01-06 بروجيكت سنديكيت

بقلم: لارا وودتكي

برلين – عندما اندلعت جائحة مرض فيروس كورونا 2019 (كوفيد-19) قبل عام واحد بالضبط، كانت الديمقراطية الليبرالية في أزمة. فلأول مرة منذ عام 2001، كان عدد الأنظمة الاستبدادية أكبر من عدد الديمقراطيات في العالم. وكان الشعبويون اليمينيون يكتسبون المزيد من الثقل.

علاوة على ذلك، كانت قاعدة حقوق الإنسان العالمية غير القابلة للمصادرة خاضعة لضغوط من قبل حكومات الصين، وروسيا، وحتى الولايات المتحدة في عهد الرئيس دونالد ترمب. واستمر قمع المجتمع المدني، والتهديدات لسيادة القانون، وحرية الصحافة، وحقوق الإنسان، بلا هوادة في العديد من البلدان. وشرع بعض القادة المنتخبين ديمقراطياً (مثل رئيس الوزراء المجري فيكتور أوربان أو الرئيس التركي رجب طيب أردوغان) في تفكيك الديمقراطية الليبرالية من الداخل، وهو الاتجاه الذي أطلق عليه بعض المراقبين وصف "الموجة الثالثة من انحسار الديمقراطية".

لكن الموجة المناهضة للديمقراطية قوبلت بنزعة معاكسة. في عام 2019، أعرب أكبر عدد من الناس في أكبر عدد من البلدان مقارنة بأي وقت مضى عن معارضتهم من خلال الاحتجاج. وأرغمت الحكومات في الجزائر، وبوليفيا، والعراق، ولبنان، والسودان على التنحي. وفي كل من شيلي وفرنسا مورست الضغوط على الحكومة لحملها على التراجع عن تشريعات مثيرة للجدال.

ثم اندلعت الجائحة، التي أغرقت العالم في أزمة الصحة العامة فضلا عن انكماش اقتصادي غير مسبوق. ولفترة وجيزة من الوقت، توقفت الحركات الاحتجاجية التي كانت العلامة المميزة لعام 2019.

ولكن بقدر ما كان تأثير الجائحة على العالم تاريخياً وفريداً، فإنها تمثل من منظور العديد من الناس

مفرد أظمة بفن أظمة أفرى كثرفة؛ ومع ترك المظالم تتفامق بلا علاج، سرعان ما استؤنفم المعارضة. فف مسهمل الأمر، شهانا زفافة كبر فف الطرق الإبءاعفة للاهءاج ءون الاضطرار إلى ءممع الناس بشخوصهم. فمف نشاط "رمز الشباك" على الإنءرنء إلى وضع الأحذفة فف الأماكن العامة لممشل الجماهفر الءبسة فف منازلها، وءء الناس السبل للءعبفر عن معارضءهم ءون المءازفة بنشر الففرس.

ثم بءأم الءركاء الاءءاجفة القءفمة والءءفءة ءءرء إلى الشوارع مرة مرة أفرى. فكان مقلء ءورء فلوفء فف مفنابولفس فف مافو/أفار سببا فف إشعال شرارة مظاهراء ءاشءة ءامء عءة أسابفع ضء عنف الشرطة والعنصرفة الءهازفة لفس فقط فف مءءلف أنحاء الولافاء المءءة، بل وأفضا فف أكءر من سءفن ءولة ءول العالم. فف هونء ءونء، فواصل الناس النضال من أجل الءفمقراءفة. وعقءء شفلف اسءفاء لءبف ءسءور ءءفء بعء أشهر من الاءءاج العام. وفف مءءلف أنحاء العالم، من بفلاروسفا إلى ءافلانء إلى الهند، انءلعت الاءءجاجاء السلمفة على نءو مسءمر فف عام 2020.

بءاء القءر من العزفمة، سعت الءءوماء فف أماكن عءفءة إلى قمع المعارضة، باسءءام الءاءءة كءرفعة لءءر الإنءجاجاء الءفمقراءفة، وقمع المنءقءفن والمعارضفن، وءقوفض معاففر ءقوق الإنسان، وقمع المءءمع المءنف. أءصء المؤسسة ءولفة للأنظمة الاءءخابفة انءخاباء مؤءلة فف 69 ءولة، كما سءلء ءركة مراقبة الءرفاء المءنفة فف زمن ءوففء-19 فرض قفوء على الءق فف ءءمع فف 130 ءولة، فضلا عن اءءاء ءءابفر أثراء على ءرفة ءءعبفر فف ءمسفن ءولة.

بطفبعة الءال، ءءرك منظماء ءقوق الإنسان والهففاء الرسمية أن فرض بعض القفوء على الءقوق والءرفاء ربما ففكون اسءءابة مشروعة من ءانب الءءوماء لأظمة الصءة العامة. لكن ءءنولوجفا ءءبع المءالطففن أو ءشرفعاء اسءءام القوة فف وقت الطوارئ كان من الواءب أن ءءضمن بنوءا ءءءء مءءها، على النحو الءف فءء ءلقاففا من زمن ونطاق صلاءفءها. ومن الواضء أن ءءابفر ءءباعء الاءءماعف ءف ءءء من الءق فف ءءمع، سواء للاءءجاج أو العباءة، لابء أن ءكون ضرورفة، ومؤقءة، ومءناسبة، ورفر ءمففرفة. ففءفن على الءءوماء أن ءُقر بءقاطع هءه الءقوق، وأن ءبءل ءهوءا شفافة قائمة على ءسن النوافا لإفءاء ءلوازن المعقول بفنفا.

ولكن في كثير من الحالات، أدت الجهود المبذولة لوقف انتشار المنومات المضللة – وتعد المجر هنا مثالا أساسيا – إلى كبح قدرة الناس على التعبير عن انتقادات مشروعة لاستجابات الحكومات للأزمة الصحية (لأنهم يسجنون على أساس تشريعات الطوارئ المرتبطة بالجائحة). في 28 دولة، جرى حجب مواقع على الإنترنت أو إجبار المستخدمين والمنصات على حذف أي محتوى يعتبر حرجا أو سلبيا. وفي 13 دولة على الأقل، أغلقت خدمات الإنترنت و/أو خدمات الهاتف منذ يناير/كانون الثاني 2020، مما جعل الناس غير قادرين إلى حد كبير على الوصول إلى الخدمات والمنومات التي قد تكون منقذة للحياة أثناء الجائحة.

حيثما سعت الحكومات إلى استخدام قوانين التباعد الاجتماعي، وحظر التجول، وتكنولوجيا التعقب والتتبع لمضايقة النشطاء والمنتقدين أو احتجازهم أو معاقبتهم، نحتاج إلى الاحتجاجات السلمية أكثر من أي وقت مضى. ولهذا السبب تستمر موجة حركات الاحتجاج العالمية في الارتفاع، ولذات السبب تتعلم هذه الحركات – التي تنحي الشباب والنساء – من التشجيع والتعبئة تضامنا مع بعضها بعضا.

إن الديمقراطية أكثر من مجرد انتخابات ومؤسسات. بل هي عملية مستمرة من إعادة التفاوض على السلطة وتوزيعها. كما تصادف أنها أفضل طريقة ممكنة لتحقيق عالم ما بعد الجائحة الأكثر عدالة وإنصافا للجميع. اليوم، تخضع الديمقراطية لضغوط شديدة، وهو ما يرجع جزئيا إلى حقيقة مفادها أن الديمقراطيات الليبرالية القائمة، من منظور العديد من الناس، لم تف بوعودها بضمان الحقوق التي يجب أن تكون مكفولة لنا جميعا. لكن الاحتجاجات العالمية تشهد على فهم أساسي يتقاسمه المشاركون: أفضل استجابة لأوجه النقص والقصور التي تعيب الديمقراطية هو "ممارسة" المزيد من الديمقراطية.

\* لارا وودتكي، رئيسة برنامج الديمقراطية الدولي في مؤسسة هاينريش بول

<https://www.project-syndicate.org>

.....

\* الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة المنبأ المنوماتية